مدينة طرابلس الشام ودورها
في مقاومة الغزو الصليبي
(٤٨٨-٥٦٧٠/١٠٩٦-١٢٧١م)

The city of Tripoli, the Levant, and its role in resisting the Crusader invasion
AD ١٢٧١-١٠٩٦ / AH ٦٧٠-٤٨٨

اعداد

م. م. أسامة معروف نوري

الجامعة التقنية الوسطى/ المعهد التقني الانبار

m.m Osama Maarouf Nouri

osamamaarouf@mtu.edu.iq

ملخص البحث

يستعرض الباحث بإيجاز أوضاع طرابلس الشام خلال الحروب الصليبية، وللمدينة تاريخ عريق ودوراً في صد الهجوم الصليبي من سنة (٤٨٨ه/ ١٠٩٦م) إلى سنة (٦٧٠ه/ ١٢٧١م)، ومن خلال أهميتها كقاعدة بحرية استراتيجية، فقد واجهة العديد من المشاكل والحروب للسيطرة عليها، إلى أن استقرت تحت ظل حكم المماليك، وقد تكلمت جغرافيتها وفتحها الإسلامي، ثم الغزو الصليبي، ثم سقوطها وتحريرها في عهد المماليك.

Abstract

The researcher briefly reviews the conditions of Tripoli, the Levant, during the Crusades. The city has a long history and a role in repelling the Crusader attack From the year (488 AH / 1096 AD) to the year (670 AH / 1271 AD). And through its importance as a strategic naval base. It has faced many problems and wars to control it. Its geography and Islamic conquest spoke. Then the Crusader invasion. Then its fall and liberation during the Mamluk era.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابه الغر الميامين وبعد.

إن في تاريخ مدننا العظام معلومات تاريخية قيمة، إذ إن التاريخ ممتد لسنين طوال، ومن أهم المدن في بلاد الشام مدينة طرابلس الشام إذ كان لها من الأهمية البالغة إذ تعتبر قاعدة بحرية استراتيجية، وحلقت وصل بين قارتين أوربا وأسيا وقريبة جداً على قارة أفريقيا، فقد وضع الصليبيين أعينهم عليها لاتخاذها قاعدة تنطلق منها الهجمات الصليبية ضد البلاد الإسلامية، ولأهمية هذه المدينة كان موضوع بحثي الموسوم بعنوان (مدينة طرابلس الشام ودورها في مقاومة الغزو الصليبي (٤٨٨-٦٧٠هـ/ ١٠٩٦-١٢٧١م).

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة أقسام، حيث تضمن أولاً: جغرافية مدينة طرابلس الشام، والفتح الإسلامي، ثانياً: الغزو الصليبي لمدينة طرابلس الشام، وبين ثالثاً: إمارة طرابلس، سقطوها، وتحريرها، والخاتمة.

أولاً: جغرافية مدينة طرابلس الشام، والفتح الإسلامي:

١- جغرافيتها: طرابلس من كورة دمشق[١]، وهي في الإقليم الرابع، طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة[٢]، والمسافة بينها وبين بعلبك أربعة وخمسون ميلاً، وبينها وبين دمشق تسعون ميلاً، وبينها وبين أنطرطوس ثلاثون ميلاً[٣]، تقع على شاطئ البحر، عليها سور من صخر منيع البنيان[٤].

٢- الفتح الإسلامي: فُتحت مدينة طرابلس في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م)، عندما ولى معاوية ﷺ الشام وجه سفيان بن مجيب الأزدي[٥] لفتح طرابلس، فبناء بالمرج حصناً على مقربة منها سمي بـ«حصن سفيان»، وقطع الواصل عن أهلها من البحر والبر، وحاصرها فلما اشتد عليهم الحصار، اجتمع الروم في أحد الحصون الثلاثة، وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث إليهم بمراكب

---

(١) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: نحو ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت، ١٨٨٩م، ص٧٧.

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج٤، ص٢٦.

(٣) العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، ص٩٦.

(٤) ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي (ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ه، ج٢، ص٨٨٢.

(٥) سفيان بن مجيب الأزدي: صحابي، شهد حجة الوداع مع النبي ﷺ، كان على إمرة بعلبك وقاضيها من قبل معاوية. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م، ج١٥، ص١٧٧؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ه، ج٣، ص١٠٨.

يهربون فيها إلى ما قبله، فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا، فلما أصبح سفيان، وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه، ثم يغدو على العدو وجد الحصن الذي كانوا فيه خالياً فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود[1].

وفي عهد عبد الملك بن مروان جدد عمارتها، وحصنها وأسكنها المسلمين، وصارت آمنة عامرة مطمئنة، وبها ثمار الشام ومصر، فإن بها الجوز والموز والثلج والقصب، والمياه جارية فيها تصعد إلى أمكنة عالية، وقد كانت قبل ذلك ثلاث مدن متقاربة، ثم صارت بلداً واحداً[2].

ثانياً: الغزو الصليبي لمدينة طرابلس الشام:

فكرة الاستيلاء على الأراضي المقدسة، قد بدأت تراود أذهان الكنيسة الغربية في محاولة لإيجاد كنيسة موحّدة تحت سيطرة البابا في روما، وكانت حالة الضعف التي وصلت إليها لإمبراطورية البيزنطية قد ساعدت على تهيئة الفرصة في إثارة هذه السلسلة من الحروب ضد المشرق الإسلامي، والتي بدأت في حملات متعاقبة شنَّها مسيحيو غرب أوربا بين سنة (٤٨٨-٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ -١٢٩١م). لقد استغل أركان الحملة الصليبية الأولى الانقسامات القائمة في العالم الإسلامي، والخلافات القائمة

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٢٩؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٧١.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ١٣٧٣م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١٧، ص٦١٧.

أيضاً بين ولاة الأمور آنذاك، فشجع كل هذا على الطمع في التقدم نحو الأرض العربية، فعقد (البابا أور بان الثاني) مجمعاً كنسياً في مدينة (كليرمونت) الواقعة جنوب فرنسا في أواخر سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٦م) حضره أمراء أوربا والإقطاعيون والتجار والمغامرون من القتلة واللصوص أيضاً[١].

فخاطبهم قائلاً: «أنتم فرسان أقوياء ولكنكم تتطاحنون وتتنابذون فيما بينكم، ولكن تعالوا وحاربوا الكفار ... يا من تنابذتم اتحدوا... يا من كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا... تقدموا إلى بيت المقدس وانتزعوا تلك الأرض الطاهرة واحفظوها لأنفسكم، فهي تدر سمنا وعسلاً... إنكم إذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق»[٢].

ثم كانت دعوة (أوريان الثاني) لمسيحي الغرب عندما خاطبهم أن ينقذوا مسيحية الشرق ووضع يدهم على القدس، فجمع بين المنافع الدينية التي ادعاها، والمنافع الاقتصادية التي قال بها بابا (مجمع كليرمونت)[٣]، وبدأت الحملات التي كانت تتراوح بين حملات خاطفة ، وبين معارك عنيفة أي أن هناك من المعارك والحملات الفاصلة المؤثرة، وهناك من المعارك والحملات السريعة في بعض المناطق القتالية التي جرى فيها صدام سريع كما هو الحال في بعض المدن التي كانت تابعة للإمارات الكبرى من الحواضر العربية الإسلامية.

(١) حميدة ، سالم محمد، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية، ط١، ١٩٩٠م، ج١، ص٣٩-٤٠.
(٢) مؤنس، حسين، نور الدين محمود زنكي، طبعة القاهرة، ١٩٥٦م، ص٦٣.
(٣) إيليسيف، نيكينا، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة: منصور أبو الحسن، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٨٢.

وكانت مدينة طرابلس الشام من المراكز المهمة التي استهدفتها الحملة الصليبية، والتفتت إليها الانظار كموقع استراتيجي يشكل ثغرة عسكرية إذا لم تتم السيطرة عليه وحسم الموقف فيه، وفي هذه الأثناء كانت إمارة طرابلس يحكمها أمراء من بني عمار، وقد حاول هؤلاء الوقوف بوجه الهجمة الصليبية القادمة، فطلبوا العون من الفاطميين الذين عجزوا عن تقديم نجدة فعالة تدعم موقفهم هذا، لم حاول الطرابلسيون طلب العون من مركز الخلافة في بغداد، ولكنهم لم يحصلوا على أية نتائج، فانتهي الأمر أن سقطت طرابلس في أيدي الفرنجة في (ذي الحجة سنة ٥٠٣هـ/ ١٢ تموز ١١٠٩م)، وجعلوا منها عاصمة (كونتية طرابلس)، أي: الدولة اللاتينية الرابعة في الشرق برئاسة (برتراندى سال جيل) كونت تولوز[١]، ولم تمض فترة من الوقت حتى تمكن الصليبيون من وضع أقدامهم في إقليم طرابلس الغني الذي يمتد من جنوب إنطاكية وإلى شمال بيروت، وادي وجودهم هذا في النهاية إلى قيام الصليبيين بالقضاء على بني عمار[٢].

وقد كان لأهمية هذه الإمارة من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية أن جعل الكونت (رايموند) يفكر بتأسيس إمارة له تكون طرابلس نواة لها، ومن خلالها يمتد نفوذه وأطماعه الشخصية إلى ترك مدينة القدس والتوجه إلى هذا الإقليم، وتأسيس (إمارة طرابلس الصليبية) التي أصبح أميراً عليها[٣].

وكان ذلك قبل تقدمه نحو بيت المقدس الذي يعدّ الهدف الأول في توجه حملة القادة الصليبية. وبدأ التوجه الصليبي بعد مغادرتهم (حصن الأكراد) إلى مدينة (عرقة) وهي مدينة صغيرة تقع شمال شرق مدينة طرابلس، ولها أهمية خاصة بسبب ثرواتها الطبيعية،

(١) إيليسيف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ص٣٨٨-٣٨٩.
(٢) حميدة، الحروب الصليبية، ج١، ص١٧٧.
(٣) ()حميدة، الحروب الصليبية، ج١، ص١٧٧.

وقد حاول الأمير الطرابلسي (فخر الملك، أبو علي) أمير طرابلس أن يصالح الكونت (رايموند) ويُوقّع معه اتفاقية يدفع له الجزية[١]، فلقي ذلك قبولاً مما ساعد على امتداد الأطماع في تقدمهم نحو (عرقة)، فوصلها سنة (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م)[٢]، ثم كان الرتل الثاني الذي توجه نحو ميناء (انطرسوس) فاحتلها بنفس السنة مما ساعد أيضاً على إدامة تمويل القوات الغازية، فكان الميناء قاعدة لها[٣].

ثم أكملت القوات الصليبية حصارها بعد أن توجهت إلى مدينة (جبالة) التي انتهى حصارها بعقد اتفاق مع حاكمها، مما جعل الكونت (رايموند) يعود إلى مدينة (عرقة) في محاولة لاقتحامها من جديد، ولكن القوات الغازية رغم تشديد الحصار على هذه المدينة الذي استمر أربعة أشهر، إلا أنهم لم يتمكنوا من دخولها، فضربت هذه المدينة الصغيرة أروع الأمثلة في الصمود والمقاومة[٤]، وبدت المنافسة واضحة بين أركان الحملة الصليبية، فأراد عند ذلك (عود فري) أن يتقدم فورا نحو بيت المقدس، بينما كان الكونت (رايموند) يريد دخول مدينة (عرقة) لتكون مركزاً للإمارة التي يريد أن يجعل منها انطلاقة نحو الشرق[٥].

ونتيجة لهذا الموقف بين الزعيمين أخذت زعامة (الكونت رايموند) تتضاءل امام (غود فري) الذي انظم اليه مجموعة من الأمراء المشاركين في الحملة الصليبية، مما كان

(١) عاشور، عبد الفتاح سعيد، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، طبعة القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٨١.
(٢) بدر، شاكر أحمد، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، طبعة بيروت ،١٩٧٢م، ص٤.
(٣) عاشور، عبد الفتاح، الحركة الصليبية، طبعة القاهرة، ١٩٦٣م، ج١، ص٢٣٠.
(٤) ابن الأثير ، الكامل، ج٨، ص١٨٧.
(٥) حميدة ، الحروب الصليبية، ج١، ص١٨٨؛ عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٨٢.

يوحي بصراع داخلي بين هؤلاء القادة، وهناك ما يشير إلى أن الإصرار قد بات واضحاً في احتلال مدينة (عرقة) واتخاذها قاعدة رئيسية لانطلاق الجيوش الغازية، ونواة الإمارة كانوا يحلمون بها في إقليم طرابلس[١].

وأمام هذه الخلافات التي نشبت بين أمراء الحملة الغازية، رأى أمير طرابلس ابن عمار أن الوقت أصبح ملائماً للتراجع عن تعهداته مع الصليبين إلا أنه لم يتمكن من الصمود في صد هجماتهم، فاستمر في دفع الجزية وتقديم الخدمات التي يريدون الحصول عليها[٢]، وشجع ذلك في أخذ قرار الموافقة من قادة الحملة في التقدم نحو بيت المقدس، مما جعل الكونت (رايموند) يرفع الحصار عن مدينة (عرقة)، والتقدم نحو الجنوب، والوصول إلى مشارف بيروت[٣].

ثالثاً: إمارة طرابلس، سقطوها، وتحريرها:

وبعد سلسلة من الاحداث استقرت القوات الصليبية التي كانت بقيادة الكونت (رايموند) في منطقة شمال مدينة طرابلس لتشكل امتداداً لسيطرتها على مدينتي (اللاذقية) و (جبالة) اللتان كوّنتا النواة لإمارة طرابلس، والتي عدت القاعدة التي أرادها الصليبيون مركزاً لمشاريع الغزو الأخرى لبقية المناطق، والتي كان منها الصدام مع الأمير (فلج ارسلان بن سليمان بن قتلمس) الذي كان أميراً لمدينة (قونية) وذلك في سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١م)، إلا أن القوات الصليبية خسرت المعركة وانسحبت إلى اقليم طرابلس، واخذت تشدد المضايقة على أميرها فخر الملوك ابن عمار الذي أضطر إلى طلب النجدة من أمير حِمص (ياخر)، ومن ملك دمشق (دقاق)، وقد أحبب طلبه، فجاءته

(١) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، ١٩٦٩م، ج١، ص٣٨٣.
(٢) الحميدة ، الحروب الصليبية، ج٨، ص٢٢١.
(٣) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٣٤.

قوات الإمارتين قرب مدينة طرابلس، وبدأ التهيؤ للهجوم على القوات الصليبية، إلا أن التكافؤ لم يكن موجوداً مما أدى إلى انسحاب هذه القوات مما ساعد القوات الصليبية بقيادة (رايموند) في ضرب الحصار على مدينة طرابلس، ولكنه لم يتمكن من دخولها والاستيلاء عليها، مما جعله يضطر إلى عقد اتفاقية هدنة مع إمارة طرابلس فيأخذ منها المال والخيل ثم ينسحب[١].

وهذا ما حدث، فانسحبت القوات الصليبية من أطراف المدينة متجهة إلى مدينة (انطرسوس) من أعمال طرابلس، ودخلتها بعد حصار عنيف فقتلت فيها من كان على دين الإسلام، ثم تقدمت إلى (حصن الطوبان) ولم تتمكن منه ، وبعدها إلى (حصن الأكراد) ولم تتمكن منه أيضاً، فاتجهت نحو مدينة (حِمص) فحاصرتها واحتلت المناطق القريبة منها، ولم تتمكن من اقتحام المدينة، فعادت القوات ا الصليبية إلى مدينة (اللاذقية) ، لتبدأ مرحلة جديدة من تعزيز قواتها لمحاصرة (مدينة طرابلس) فتحركت قوات (رايموند) نحوها في سنة (٤٩٧هـ/ ١١٠٣م)، واشتد القتال براً وبحراً، وكانت النتيجة لصالح المسلمين، فتمكنت قوات (إمارة طرابلس) من دحر القوات الصليبية ومنعتها من الوصول إلى المدينة[٢] وردّتها خائبة إلى (مدينة جبالة) التي لم تستطع الصمود أمام القوات الغازية[٣].

١ – سقوط مدينة طرابلس:

أدرك أركان القادة الصليبية أن تحسين العلاقات بينهم سوف يساعد على

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢١١؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٩٣.
(٢) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت:٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: أمدرود، طبعة بيروت، ١٩٠٨م، ص١٤٦.
(٣) ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٢٢١.

اقتحام المدن التي يريدونها، وكذلك عمل الكونت (رايموند) على عقد تحالف مع الإمبراطورية البيزنطية لتعزيز موقفه من محاصرة مدينة(انطرسوس) والاستيلاء عليها سنة (٤٩٨هـ/ ١١٠٤م)[١]، لتكون قاعدة لأغراضة الثقيلة في تأسيس قاعدة له مركزها (مدينة طرابلس).

ومع ان الهدنة كانت قائمة بين أمير طرابلس ابن عمار، والكونت (رايموند) إلا أن القائد الصليبي كان يريد اقتناص الفرصة لمهاجمة طرابلس، فعمد كمرحلة أولى إلى بناء حصن بالقرب من مدينة طرابلس في سنة (٤٩٩هـ/ ١١٠٥م) ليكون قاعدة مراقبة ورصد لمنافذ المدينة، ولكن هذه المحاولة فشلت، لأن الأمير فخر الملك ابن عمار نظّم هجوما ساحقاً على هذا الحصن، فاحرقه واستولى عليه وقتل (الكونت رايموند)[٢]، وقد أثار ذلك إمبراطور الروم البيزنطي، فأعطى أوامره بإمداد الصليبيين بما يحتاجون إليه من مواد تموينية عن طريق البحر، إلا أنهم لم يستطيعوا إيصال هذه الإمدادات بسبب المقاومة الإسلامية العنيفة في ميناء طرابلس[٣].

وعاشت مدينة طرابلس فترات حاسمة وحرجة أيضاً، بسبب طول الهجمات التي تعرضت لها، والتي استمر حصارها خمس سنوات كانت على غاية من القسوة فشحَّت المواد الغذائية داخل المدينة، واخذ الناس يهربون إلى الأماكن المجاورة ومع أن موقف أمير طرابلس ابن عمار كان فيه الصبر والشجاعة والجَلد في الدفاع عن المدينة وأهلها، فإن الأمور كانت تنتظر هول المفاجآت في كل يوم، وكان ابن عمار لم يتردد في طلب المعونة من الأمراء المسلمين، فقد اعتمدت مدينة طرابلس في صمودها على الإمدادات

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٤٤.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٣٥ .
(٣) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤١٢.

التي كانت تصل إليها من منافذ عدّة، أما عن طريق البحر، وإما عن طريق البر من المناطق المجاورة، وطُرقها المتشعبة التي لا يعرفها إلا أهلها ومن يسكن فيها، وقد شكل هذا رمزاً بطولياً في الصمود، كما كان لتأزر الناس مع بعضهم الدور الفعال في إدامة صمود المدينة.

وفي شهر رمضان من سنة (٥٠١هـ/ ١١٠٨م) حضر ابن عمار الى بغداد بعد أن رتّب الامور الدفاعية في مدينة طرابلس، وطلب المساعدة من السلطان (محمد السلجوقي)، وبعد مقابلته للسلطان والخليفة العباسي عاد إلى دمشق دون أن يحصل على نتيجة فعّالة[١]، ثم عاد إلى دمشق، وبعدها استولى على مدينة (جبالة) واتخذها مقراً له بعد أن تغيّر الموقف ضده في مدينة طرابلس[٢].

وأصبح الموقف في مدينة طرابلس سيئاً بعد أن غاب عنها الأمير أبن عمار، وطلب الأهالي من الوزير المصري أن يُعيّن لهم والياً ويمدهم بمواد غذائية، فعيّن لهم الوالي (شرف الدولة ابن أبي الطيب) وأمدهم بما يحتاجون من مواد تموينية ودفاعية، إلا أن الحصار على مدينة طرابلس بقي مستمر حتى سنة (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)، وكانت الخلافة الفاطمية هي التي تولّت حماية المدينة والدفاع عنها في هذه الفترة، وبعد أن طال الأمر في حصار هذه المدينة قرر قادة الحملة الصليبية تجميع قواهم والتفاهم فيما بينهم في محاولة الاقتحام طرابلس ودخولها والاستيلاء عليها، فبدأت حشود القوات الصليبية في بلاد الشام تتجه وتتحرك صوب طرابلس، فجاءت قوات الأمير (تانكرد) أمير إنطاكية، وكذلك قوات (الملك بولدين) ملك بيت المقدس، وقوات إمارة (الرها) ايضا فشددوا الحصار على مدينة طرابلس، وصنعوا الأبراج، وسدوا المنافذ لمنع وصول الامدادات

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٥٣.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٥١.

... فساء الموقف في داخل المدينة وانحطت معنويات المدافعين عنها، وشدّد الصليبيون الهجمات عليها، إلى أن تمكنوا من دخولها في يوم (١١ من شهر ذي الحجة سنة ٥٠٣هـ/ الموافق ١٢ تموز عام ١١٠٩م)[١]، ثم تعزز ذلك بقدوم قوات صليبية جديدة، ففي (ربيع الثاني من عام ٥٠٤ه) اجتمع الملك الصليبي (بولد وين) بالقوات القادمة، وقرر التقدم نحو مناطق أخرى كانت مدينة (صيدا) أول هذه المدن، فاستسلمت بعد حصار كان قد دام سبعة واربعين يوماً، وذلك في سنة (٥٠٥هـ/ ١١١٠م) وبعد ذلك استمر تساقط المدن العربية الإسلامية الأخرى بأيدي القوات الصليبية التي استمرت في تقدمها، حتى تمكنت من السيطرة على جميع الأراضي بعد سنة (٥١٠هـ/ ١١١٦م)، فضلاً عن سيطرتها على المناطق الأخرى من شمال بلاد الشام، فتأسست مجموعة من الإمارات مثل (إمارة الرها)، و(إمارة إنطاكية) و(إمارة حلب)، و(مملكة بيت المقدس) و(إمارة دمشق)، وغيرها من المناطق الأخرى للمدن العربية الإسلامية في بلاد الشام[٢].

٢- تحرير مدينة طرابلس:

بعد هذا الامتداد الذي حققه الصليبيون في حملتهم على بلاد الشام ومصر، وبعد سيطرتهم على أهم المواقع، واقامتهم واستقرارهم فيها، فإن نهاية هذه الحملة قد بات وشيكاً بعد أن استفحل الخلاف والصراع بين القادة الصليبيين طمعاً في امتيازات القيادة والسيطرة من جهة، وتحقيق ما أجمع عليه (مجمع كليرمونت) سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٦م)، من جهة ثانية، وبدأ الوضع الصليبي يؤشر بانهيار الغزو ونهايته إلى الأبد، ولولا انشغال المسلمين بمعالجة الغزو المغولي لتمكنوا من تصفية الصليبيين قبل معركة (عين جالوت) التي حدثت سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، في عهد السلطان

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٥٨؛ عاشور، الحروب الصليبية، ج١، ص٣٦١.
(٢) دائرة المعارف البريطانية، طبعة لندن، ١٩٥٦م، ج٦، ص٧٧٦.

(ركن الدين بيبرس)[1]، الذي بدأ بالتحرك نحو المدن العربية الإسلامية التي بدأت تتحرر من السيطرة الصليبية واحدة تلو الأخرى، وأخذت القوات الغازية بالتراجع والتقهقر، فكان تحرير (إمارة إنطاكية) سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٨م)[2]، ثم خرج الملك (الظاهر بيبرس) يقود قواته من القاهرة في سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) ليصل إلى دمشق ويجعل منها هدفه نحو (حصن الأكراد)، فتحركت القوات من دمشق باتجاه حصون وقلاع جبلة واللاذقية، والمرقب، وعرقة، ومرقبة، والقليعات، وصافيتا، والمجدل، ثم توجهت نحو حصن الأكراد، وتمت محاصرتها وعقد هدنة بين الطرفين[3]، كخطة استراتيجية أولية أراد منها (الظاهر بيبرس) ترتيب الأمور لمرحلة قادمة لطرد الصليبيين، وهذا ما تحقق فعلا بطرد الغزاة من قيسارية، وصفد، وأرصوف وطبرية، ويافا، والشقيف، وانطاكية، وبفراس، والقصير، وحصن الأكراد، وعكار، والقرين، وصافيتا، ومرثية، كما ناصفهم على المرقب، وبانياس، وانطرسوس، وسائر ما تبقى من المواقع والمدن الأخرى، إلى أن وافاه الأجل في عام (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) فخسر المسلمون واحداً من أعظم قادة التحرير ضد الحملات الصليبية[4].

ثم كان القرار الذي اتخذه السلطان (قلاوون) بطرد الصليبيين من طرابلس الشام، فخرج من القاهرة نحو دمشق، ثم توجه الى مدينة طرابلس فوصل ضواحيها بداية (ربيع الأول من عام ٦٨٨هـ/ أواخر آذار ١٢٨٩م)، وبدأ محاصرة المدينة بالمنجنيق،

(١) عاشور، الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٠٨٦.
(٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ١٠٩٤؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٥٥٨.
(٣) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٦، ص١٥٠.
(٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت:٨٤٥هـ/ ١٩٣٩م)، السلوك في معرفة الملوك، تحقيق: محمد زيادة، طبعة القاهرة، ج١، ص٦٣٦.

وبعدها تمكن من دخولها يوم (الثلاثاء الرابع من ربيع الثاني من سنة ٦٨٨هـ/ السادس والعشرين من نيسان عام ١٢٨٩م)، فتم تحرير طرابلس والحصون القريبة منها، والمواقع التابعة لها، وانسحب الصليبيون مذعورين يجرون اذيال الخيبة[1].

الخاتمة

وفي نهاية البحث، ولأهمية مدينة طرابلس الشام توصلت إلى عدة نتائج، وهي:

١- تعد مدينة طرابلس الشام من أهم المدن في بلاد الشام.

٢- فتحت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بقيادة الصحابي سفيان بن مجيب الأزدي رضي الله عنه سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م).

٣- كانت مدينة طرابلس الشام من المراكز المهمة التي استهدفتها الحملة الصليبية، والتفتت إليها الانظار كموقع استراتيجي يشكل ثغرة عسكرية.

٤- عُدت مدينة طرابلس الشام عند الصليبيين قاعدة لاحتلال مدينة القدس.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢. إيليسيف، نيكينا، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة: منصور أبو الحسن، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٩٣؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص١١١٧، ١١١٩، ١١٢٠.

٣. بدر، شاكر أحمد، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، طبعة بيروت، ١٩٧٢م.
٤. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.
٥. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م.
٦. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ه.
٧. ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي (ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ه.
٨. حميدة ، سالم محمد، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية، ط١، ١٩٩٠م.
٩. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: نحو ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت، ١٨٨٩م.
١٠. دائرة المعارف البريطانية، طبعة لندن، ١٩٥٦م.
١١. رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، ١٩٦٩م.
١٢. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م.
١٣. عاشور، عبد الفتاح سعيد، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، طبعة القاهرة، ١٩٧٦م.
١٤. عاشور، عبد الفتاح، الحركة الصليبية، طبعة القاهرة، ١٩٦٣م.

١٥. العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف.

١٦. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت:٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: أمدرود، طبعة بيروت، ١٩٠٨م.

١٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ١٣٧٣٠٧٧٤م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨. مؤنس، حسين، نور الدين محمود زنكي، طبعة القاهرة، ١٩٥٦م.

١٩. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت:٨٤٥هـ/ ١٩٣٩م)، السلوك في معرفة الملوك، تحقيق: محمد زيادة، طبعة القاهرة.

٢٠. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٢١. مؤنس، حسين، نور الدين محمود زنكي، طبعة القاهرة، ١٩٥٦م.

٢٢. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت:٨٤٥هـ/ ١٩٣٩م)، السلوك في معرفة الملوك، تحقيق: محمد زيادة، طبعة القاهرة.